الجذر (س ك ن) بين الاستعمال المعجمي ومستويات الخطاب القرآني

أ.د. نهاد فليح حسن العاني
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

المقدمة:

لعله من فضول القول أن أذكر تميز العربية بدعامة رئيسة من دعائم النمو اللغوي تلك هي ظاهرة الاشتقاق، التي تعد الظاهرة الأساسية في بناء المعجم العربي ــ وفي مدرسة من مدارسه العلمية المختلفة ــ وأعني بها انتساب المفردات المختلفة الى جذر ثلاثي ــ في الاغلب ــ ينضوي تحته ألفاظ المادة اللغوية الواحدة يجمع بين هذه الألفاظ معنى عام يدل عليه ذلك الجذر وفي ترتيب معين يعرف بالمعنى الأصلي أو المعني المركزي، وكان هذا المبدأ الأساسيّ المعتمد في بناء معجم مقاييس اللغة لاحمد بن فارس، وفاتحة القول في التنظير اللّغوي عند ابن جني في كتابه الخصائص.

وترمي هذه الدراسة الى استجلاء دلالة الجذر (س ك ن) في المعجم العربي وتأمل المعنى الذي تتمحور حوله ألفاظ هذا الجذر بجميع اشتقاقاته المختلفة الفعلية والاسمية والمصدرية والوصفية. لأتوصل منها الى دلالات الجذر نفسه في السياق القرآني وفي مستويات استعماله المختلفة، مؤكدة ان بحث الدلالة المعجمية للفظ يجب ان تكون مرحلة سابقة من مراحل دراسة المعنى السياقي بشقيه اللفظي والحاليّ. وللتنبيه على ان معرفة السياق في النص مقدمة ضرورية لدراسة مستويات الخطاب في الاسلوب القرآني لان الالفاظ المفردة والتراكيب تتعرض بسبب السياقات اللفظية والمقامية المختلفة لألوان من التغير الدلالي ولأن المعنى السياقيّ لا يحتمل غير معنى واحد قد يردّ بلطف الصنعة الى المعنى العام وإنْ ابتعد فذلك مرجعه الى أثر السياق القرآني في تطور الدلالة.

وكان الدافع الى استجلاء هذه الحقيقة قائماً على أساس شعوري أن علماء العربية قد اهتموا بدراسة اشتقاق الجذر من غير عقد صلة معنوية بين مشتقاتها المختلفة ولم يقفوا وقفة تأمل في الكشف عن مستويات استعماله في النص القرآني ومن هنا دعت الحاجة الى استقراء استعمال هذا الجذر في المعجم العربي ومن ثم مقارنتها بصور استعماله في نص الخطاب القرآني بعد تدبر أوجه استعماله في سياقات مختلفة معتمدة على آيات بيّنات من الذكر الحكيم تعرضت لصور استعماله المختلفة.

وتطلب الموقف تقسيم الدراسة على ثلاثة محاور رئيسية:

الاول: تقديم دراسة في الدلالة المعجمية تجمع شتات ألفاظ الجذر المختلفة للتوفيق بين معانيها وتعميق التواصل فيما بينها.

والثاني: دراسة الجذر (س ك ن) في الدلالة المادية المجردة في القرآن الكريم.

والثالث: في الكشف عن الدلالة الحسية والشعورية في مستويات الخطاب المختلفة في القرآن الكريم.

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة لغة القرآن وهو وحده الهادي الى سواء السبيل.

المبحث الاول

مادة (س ك ن) في الاشتقاق اللغويّ والدلالة المعجمية

يعدّ الاشتقاق من أهم وسائل نمو اللّغة، ولعل من فضول القول أن نذكر تميز العربية بهذه الظاهرة التي تقوم على استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى أو كلمة من اخرى أو أكثر مع تناسب المأخوذ والمأخوذ منه(١). وقيل في حد الاشتقاق ــ ايضا ــ هو عملية توليد لبعض الالفاظ من بعض والرجوع بها الى اصل واحد يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد(٢). وهو ما أطلق عليه بعض اللغويين ــ من المهتمين بدراسة الظاهرة ــ (الاشتقاق الكبير أو الأكبر) وهو أحد ثلاثة أنواع من أنواع الاشتقاق كالصغير والصرفي والكبّار، ويعنون به انتساب الجذر اللغوي الواحد في ترتيب معين الى معنى عام يجمع الالفاظ المشتقة من هذا الجذر والمتولدة نتيجة الاستعمال اللغوي وتطور استخدامه، ولا سيما تلك المفردات ذات الجذر الثلاثي الأصول. وقد تبدو طائفة الألفاظ المولدة من جذر واحد ــ أوّل وهلة ــ متقاربة في مبانيها متباينة في معانيها ولكن النظرة الفاحصة تهدي الباحث الى ان كل طائفة من الألفاظ التي يجمعها جذر واحد لا تكاد تغادر معنى عاما يدل عليه ذلك الجذر بل أنه يضم شتاتها ويوفق بين معانيها ويعمق التواصل فيما بينها فيشد بعضها أزر بعض حتى لنكاد نستدل من احدها على باقيها(٣).

وصرّح بهذا التنظير ــ أوّل مرة ــ ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في الخصائص معتمدا على جهود سابقيه في تقرير هذه الحقيقة اللغوية كجهد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في العين، وابي بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ) في رسالته (الاشتقاق) واحمد بن فارس (٣٦٥هـ) وابي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، ــ من معاصريه ــ في معجمه (مقاييس اللغة) وغيرهم(٤).

لقد حاول ابن جني وأحمد بن فارس أن يردا بعض المفردات التي اختاراها للتطبيق الى أصل معنوي واحد يجمع تلك المتباينات تحت ظله، فالجذر (ك ل م) ــ على سبيل المثال ــ في كل تقاليبه المستعملة يدل على القوة والشدة والجذر (ق و ل) "أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض او تأخره عنه انما هو للخفوف والحركة وجهات تراكيبها الستة مستعملة كلها لم يهمل شيء منه"(٥).

ولنا مع هذه الظاهرة وقفة تأمل في المعجم العربي نستلجي بعضا من جوانبها ونقلب النظر فيها من خلال الجذر (س ك ن) وصور اشتقاقه البنائي المنوع ودلالاته المختلفة وعلى وفق هذا الترتيب تمهيدا لبحث تطورها الاشتقاقي والمعنوي في مستويات الخطاب القرآني ومحاولة الموازنة بين منهج المعجم العربي في بحث المفردة اللغوية ببنائيتها المجردة ومنهج أهل التأويل في بحثها على وفق علاقتها بالسياق أو المقام.

لمستُ أنّ الجذر (س ك ن) في كل مواضعه من الاستعمال الشعري أو النثري يدل على الهدوء، والثبوت، والاقامة، وخلاف الحركة، وتقليب النظر في ما أحصيت من هذه الألفاظ انما يهدي الى معنى لطيف متصل تتمحور حوله كل الالفاظ الاخرى المشتقة من الجذر نفسه وتدور في فلكه ألا وهو (ذهاب الحركة) وما شذ في ظاهره عن المعنى المركزي للجذر يمكن ردّه ــ بلطف الصنعة ــ الى الأصل الواحد المشترك الذي يجمع بينها وذلك بتوضيح المفردة، وصيغتها الصرفية وموضعها في أقسام الكلم والدلالة المعجمية التي اطّرد الاستعمال بها.

ــ السُكُون: فُعُول ــ مصدر في صيغته الصرفية يدل على معالجة الفاعل للفعل كـ: تَلَدَ تُلُودا ــ اذا أقام بالمكان ــ والسُكُون من سَكَنَ الشيءُ يسكُنُ سُكُونا اذا استقر وثبت بعد

حراك، وذهاب الحركة حالة مؤدية الى الهدوء(٦).

وسَكَنَ الرجلُ بـــالمكان يَسْكُن سُكُوناً اذا نزل فيه "والسُّكُون تســتعمل في الاســتيطان نحــو سَكَنَ فلان مكان كذا أي استوطنه"(٧). وقد ارتبط في علاقته الاشتقاقية بـالفعل الثلاثي فَعَل سَكَن، وقاسه بعضهم في أفعل وفَعَّلَ فقـالوا: أسـكنه غيره وسكَّنه تَسْكيناً في تعدية الفعل.

قال كَثير(٨):

وان كانَ لا سُعْدَى أطالت سُكُونَهُ

ولا أهلُ سُعْدَى آخر اللَّيلِ نَازِلَـهْ

وفي الكلام فالسُكُونُ يعني قـطع الكلام لأن في قـطعه هدوءاً وذهاب حـركة وقـالوا: سَكَن الرجلُ اذا سَكَتَ، وسَكَنَ المطرُ والغَضَبُ: اذا ســكتَ وسَكَنتِ الريحُ وسَكَتَتْ: اذا توقــفت وانقطعت وهدأت(٩).

والسَّكُون ــ فَعُول ــ اســم لقبـيلة بـاليمن(١٠) وفي الوصفية اختاره ابـن دريد (ت ٣٢١هـ) وصفاً لمن استقـر وهذا في موضع ما(١١).

وفي المجاز عدوا فعله بالحرف، فقالوا: سَكَن اليه إذا اسـتراح وسَكَنَ عنه الوجعُ سُكوناً اذا فارقه(١٢). ومفارقـة الداء حـالة مؤدية الى هدوء النفس واستقرارها وسَكَنَ الحـرفُ سُكوناً اذا زالت عنه الحركة وبقي بغيرها فالحـرف سـاكن في مصطلح المعربين.

ــ السَّكَن: فَعَل ــ مصدر منقول الى الوصفية ــ كل شـيء تلجأ اليه تلتمس فيه الراحة أو الأمن او الهدوء او الاستقـرار كالظل الوارف ــ مثلا ــ أو الأهل أو غيرهم. وربـما قـالت العرب: السكن لما يسكن اليه، ومنه قوله تعالى:

"فالقُ الاصباح وجَعَل الليلَ سَكَناً" الانعام ٩٦.

ومنه قول الراجز:

لِيَلْجَـؤا من هَدَفٍ الى فَنَـنْ

الى ذرى دِفْءٍ وظلٍّ ذي سَكَنْ(١٣)

والسَكَنُ في الاسمية: الغيث، وفي الدعاء قالوا: اللهم أنزل علينا في أرضنا سَكَنها: أي غياث أهلها الذي تسـكنُ أنفسـهم اليه. والنفس تهدأ لعاقبة المطر وتستقـر بسقـوطه، لان فيه ابـعاد الشـعور بـالعطش أو الجفاف. والسَّكَنُ المنزل، وسَكَنُ الدار أهلُها(١٤). والسَّكَنُ النَّار في بعض اللهجات لأن الانسـان يلجأ اليها ويستقر حولها ويطمئن بها.

قال الراجز(١٥):

ألجأني اللَّيلُ وريحٌ بَلَّـهْ

إلى سوادِ ابلٍ وتَلَّـهْ

وسَكَنٍ توقدُ في مِظَلَّـهْ

وفي وصف القناة: أقامها بسَكَنٍ وأدهانٍ(١٦)

تقـفها بـالنار والدُهْن، ولم يؤنث السَكَن لان النار ما يؤنث من سائر الأشياء التي توجد سماعا وليس فيها علامة للتأنيث(١٧)

والسَّكَنُ: المصدر، الحلول والاقامة، في بـيت من غير ملك اما بكراء او غير ذلك، يرادفه في الاستعمال:

سُكْنى ــ فُعْلَى ــ من الإسكان، كقولهم: العُتْبى اسم من الاعتاب والعُمْرَى من الاعمار، وهو ان يَسْكُنُ الرجلُ موضعاً بلا كروه يقال للدار فيها سَكَنَ وسُكْنى، وفي الخطاب: لك في داري سَكَنَ وسُكْنى: أي اقامة واستقرار واستيطان(١٨).

ــ السُّكْن: فُعْل، في الاسم: القوت والطعام، هذا سُكْنُ أهل الدار: قوتهم ورزقهم، وهو في الاسـتعمال يرادف (النُزُلُ) وهو طعام القوم الذين ينزلون عليه، فيحفظه لهم. والجمع أسكان كقولهم في القُوت أقوات وسمي القُوت سُكْن لأن المكان بـه يسـكن وينزل ويستقر فيه فتهدأ حركة النازل، ونزل العسكر أقواتهم المقـدّرة لهم اذا أُنْزِلُوا منزلاً، وسُكْن القوم: قُوتُهم المقـدر لهم في مكان اقامتهم(١٩). ولا جدال في ان وجود القوت في المكان تهدأ به

النفس وتستقر لأن فيه شعور ذهاب الخوف من الجوع.

ويُقصر ــ سُكْنَى ــ وهو مكان المرأة الذي يسكنها الزوج أياه أي مسكنها يقولُ لها لَكِ داري هذه سُكْنَى وسَكَنٌ أي مكاناً للاقامة أو مسكناً تسكنهُ.

ــ السَّكَنُ ــ فَعَلٌ ــ في الاسم ــ العيال وهم سَكَنُ البيت: أهله وسكانه المقيمون فيه والواحد ساكن والجمع سُكّان كقولهم: عاذل وعذّال وحارس وحرّاس. وقد يراد به اسم جمع لساكن كشَارب وشَرْب وصَاحب وصَحْب وراكب وركْب على تقدير مفرد من لفظه.

ومنه قول سلامة بن جندل(٢٠):

ليس بأسقَى ولا أقْنَى ولا سَغِلِ

يُسقَى دواءَ قَفِيّ السَّكَنِ مَربُوبُ

وقول ذي الرمة(٢١):

فيا أكرم السَّكَنِ الذينَ تَحَمّلوا

عن الدارِ والمُستخلَفِ المُتَبَذّلِ

قال ابن منظور: (ت ٧١١هـ) وهو بفتح السين وسكون الكاف سَكَن لأهل البيت، ويستعمل استعمال الاسم المفرد بمعنى الجمع ويقصد به أهل القبيلة قالوا: تحمّل السَّكَنُ فذهبوا ــ بالجمع(٢٢) والسَّكَنُ: العيال من أهل الدار في حالة استقرارهم، وسَكَنُ المَنْزِلِ: أهلُهُ المقيمون فيه، ولدلالته على اسم الجمع عاملوه معاملة المفرد فقالوا في جمعه سُكّان وأسكان. حملا على أصحاب حديثة جمع صَحْب. وسُكّان الدار: هم الجن المقيمون فيها وكان الرجل اذا اشترى دارا حديثة ذبح فيها ذبيحة يتقي أذى الجنّ وقد نهى الاسلام عن ذبائح الجنّ قالوا: اتّخذَ فلانٌ طعاماً لسُكّان الدار وهم عُمارها من الجنّ(٢٣).

فالسكن استعمال يدور في محور حقل دلالة الهدوء والاستقرار والاقامة والثبوت. وليس المقصود بها ابطال حركة الجوارح، وفي هذا المعنى استعملت صيغ المشتقات المنبثقة عن الجذر.

نحو:

ــ السُّكّان: فُعّال ــ من اسماء الآلة غير القياسية، وهو الخيزرانة او الكوثل أو الخدف: وهو ذنب السفينة الذي تعدّل به والتسمية مشتقة من المهمة المؤدية لهذه الآلة وهي جزء من السفينة تُسكّنُ بها حركة السفينة وتمنعها الاضطراب.

قال طرفة بن العبد في الصيغة ودلالتها الصرفية:

وأتلعُ نَهّاضٌ اذا صَعّدَتْ بــه

كسُكّانِ يوصيٍّ بدجْلَةَ مُصْعِدِ

وسُكّان السفينة عربي سمي سُكّاناً لانّ بها تقوّم حركة السفينة وتسكن عن الحركة والاضطراب(٢٤).

ــ السِّكّين: فِعّيل ــ المُدية، تذكر وتؤنث والجمع سكاكين وتصغر سُكَيْكِين، وسُكَيكِنَةُ، واختارت هذيل التذكير، قال أبو ذؤيب:

يُرى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا

فذلك سِكّينٌ على الحَلْقِ حَاذِقُ(٢٥)

فأشارة الى الآلة بـ (ذلك) واختاره، أبو زيد الانصاري (ت٢١٥هـ) والأصمعي (٢١٦هـ) وأبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) ومنعوا التأنيث(٢٦). واختار بعض أهل الكوفة تأنيثه منهم الكسائي (ت١٨٩هـ) والفراء (٢٠٧هـ)، قالوا: غمدتها إذا أدخلها في غمدها وقرّبتُها وأقربتُها: اذا جعل لها قرباً، أو أدخلها قرابها(٢٧).

ومن شواهدهم:

فَعَيَّثَ في السَّنامِ غُداةَ قُــرٍّ

بسِكّينٍ مُوثّقَةِ النّصابِ(٢٨)

ووصوفها بصيغة (فُعّال) من أوصاف المؤنث غير المصروفة لانها للتأنيث لفظا فقالوا: سِكّين حُدّاد في سرعة القطع بها

وعدلوا بها عن حادة وهاذمة.

قال الشمردل بن شريك:

كأنَّ جَزَّاراً هُذامَ السِّكِّينْ

جَزَّ لَهُ لِمُيْسِرٍ أفانينْ(٢٩)

ويبدو ان صيغة فِعِّيل في السِّكِّين وصف للمبالغة محول من صيغة فاعل منقول الى اسم الآلة غير القياس، للمبالغة في تنفيذها الفعل لانها تُسكن حركة الذبيحة فتمنعها من أوصاف الأحياء بازالة حركتها بالموت، وكل شيء مات فقد سَكَنَ، كقولهم: غِرِّيد للمغني لتغريده بالصوت على معنى المبالغة(٣٠). ومن غريب الحديث، قوله (صلى الله عليه وسلم):

"فَجَاءَ المَلَكُ بسكِّينٍ دَرَهْرِهَةٍ(٣١)

أي معوجة الرأس، وليس هذا من الشاذ على حد قول بعض العلماء، أو لأختصاص الوصف بالمؤنث وانما حذفت منها العلامة لانهم قصدوا به النسب أي ذات سكن، وهو اجراء صرفي لافادة دلالة معينة كـ مُرْضِع ومُطْفِل ومُعْطِر ومِنْشير، وسمع امرأة مِسْكِين ومِسْكِينة شبهوها بفقيرة(٣٢).

قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): "ومُرْضِع اذا اردت ذات رِضاع ولم يجرها على أرضعت ولا على تَرضَع فاذا أراد ذلك قال مرضعة"(٣٣).

والسِّكِّينة ـ بالكسر ـ لغة فيها، والمشهور بلا هاء، قال(٣٤):

سِكِّينَةٌ من طبعِ سيفِ عمرْو

نصابُها من قِرْنِ تَيْسٍ بَرِيٍّ

ـ المَسْكَن ـ مَفْعَل، ومَفْعِل ـ بفتح الكاف وكسرها، اسم للمكان واحد المساكن وهو البيت او المنزل، قال تعالى:

"فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُم لم تُسْكَن مِنْ بَعْدِهِمْ إلاّ قَلِيلاً" القصص ٥٨.

فالمَسْكَنُ موضع تقيم فيه والساكن تفتر حركته بالاقامة في دار الدنيا ومَسْكِنُ موضع بعينه من أرض الكوفة(٣٥).

السَّكِنَةُ ـ فَعِلَة ـ موضع الاقامة أو مقرها والجمع سَكَنات واصله المربع ومن الانسان هي موضع اتصال الرأس من العنق، قال أبو الطحان:

بضَرْبٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكَنَاتِه

وطَعْنٍ كتشهاقِ العَفَا هَمَّ بالنَّهَقِ(٣٦)

وقول النابغة:

بضربٍ يزيلُ الهامَ عن سكناته

وطعنٍ كايزاغ المخاض الضَّوارب(٣٧)

والسَّكَنَةُ: الاستقامة، والناس على سَكناتهم: على أحوال استقامتهم التي كانوا عليها لم ينتقلوا الى غيرها فالسَكِنةُ الأبقاء على الحالة المعينة من دون الهجرة أو الفرار أو الانتقال لان هذه فيها تغيير وحركة ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم):

"استقروا على سَكَناتِكُم فقد انْقَطَعَتِ الهجرة"(٣٨)

أمرهم بالاقامة والهدوء لأن الله أعزَّ الاسلام وأغنى عن الهجرة والفرار خوف المشركين، ويبدو أن السَّكِنة كناية عن حسن الحال.

ومنه السكينة: فعيلة ـ من السكون، وهي الوقار والهدوء والحلم والوداعة: "وعلى فلان السَّكِنَةُ " أي الوقار والهدوء(٣٩)، ومنه قول عُريف الكُليبي:

لِلّهِ قَبرٌ غَالَهَا ماذا يُجِنُّ لقد أَجَنَّ سَكِينَةً ووَقَارَا(٤٠)

وأراد التأني في الحركة والهدوء والوقار، وربما صغروها للتحبيب قالوا: سُكَيْنَة للجارية الخفيفة الروح وليس الحركة.

والسُكَيْن ـ فُعَيْل ـ الحمار الخفيف السريع والأتان اذا كانت كذلك وربما قاسوها من التَّسكين وهو أن يدوم الرجل على ركوب السُكين فيكون البناء من معنى الثبوت والدوام في ركوب ظهر الحمار وكأن الراكب قد استقر عليه. ومن شواهدهم:

دَعَرْتُ السُكَيْنَ به آيلاً وعينَ نعاجٍ تُراعي السخالا(٤١)

والسُكَينُ حَيٌّ من العرب، جاء في شعر النابغة:

وعلى الرُّميثةِ من سُكَين حاضرٍ

وعلى الدُّثَينَةِ من بني سَيَّارِ(٤٢)

وسُكَيْنُ موضع رهط بني هبيرة الفزاري، والحي انما يكون للاقامة والحلول والاستقرار..

تبدو هذه المفردات أوّل وهلة متقاربة في مبانيها متباينة في معانيها ولكن النظر يهدي الى أنّ جميع هذه الطائفة من الألفاظ ذات الجذر اللغوي الواحد تعود الى أصل واحد مطرد يدل في مجمله على الهدوء وخلاف الحركة والثبوت والاقامة وهذا يمثل أحد أفكار التنظير الأساسيّ المعتمد في بناء (معجم مقاييس اللغة) اذ اهتدى فيه احمد بن فارس الى المعنى الاساس المستنبط من جميع الفاظ المادة اللغوية الواحدة(٤٣).

المبحث الثاني

دلالة الجذر (س ك ن) في مستويات الخطاب القرآني

تمثل الدلالة السياقية الاطار العام الذي بموجبه يتم استعمال كلمات أو تراكيب بأعيانها في مجال محدد يربط بينها وبين الحدث الكلامي الخاص الذي استعملت فيه فالسياق اللغوي يحدد المعنى الوظيفي الذي أدّته المفردة اللغوية وهو اساس التماسك بين اللفظة ودلالتها، حتى عُدَّ السياق الأساس الثاني ــ بعد المقال ــ الذي تقوم عليه الدلالات واضحة لا لبس فيها ولا غموض والسياق او (المقام) هو العنصر الاجتماعي في المعنى وهو الموقف الذي يكتنف المقال الذي يُؤدي به الحدث الكلامي المعين، ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية واداة التعبير عن الفكر فمن الطبيعي ان تتأثر بكل الظواهر الاجتماعية تأثرا كبيرا بحيث لا يستطيع اللّغوي تعرّف حقيقة المعنى الذي حملته الا بمعرفة المقام(٤٤).

ان استخدام الوحدة اللغوية في مواقف حياتية مختلفة يكسب الكلمة نموا وتطورا يتواءم مع حاجات المجتمع والتغييرات التي تطرأ عليه. ان دراسة تطور اي جذر لغوي أو أصل من الأصول يعتمد على بعدين رئيسين من أبعاد الاستخدام اللغوي احدهما داخلي يعتمد تفسير الظواهر التي تؤثر في العنصر اللّغوي بمختلف مستوياته كالصرف والنحو والمعجم. والآخر خارجي يتناول مستويات الخطاب المختلفة والظروف التي كان لها الأثر المباشر في هذا الاستعمال وايحاءات معانيه. يفسر عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) هذا المستوى بتقسيم الكلام على اضرب، ضرب منها لا تصل الى غرضه بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض... فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ومعنى المعنى ان تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر(٤٥) وكأنه جعل للمفردة دلالة مزدوجة اجتماعية ونظرية تتجاوز الاعتباطية فهي في جدل دائم قائم بين النظام السياقي المقامي والنظام المقالي الاخباري، وبهذا يكون مفهوم سياق المقام كل ما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالمكان أو الزمان او المتكلم أو المُخاطب فتضخ عليها هذه الملابسات دلالة يولدها هذا النوع من البعد الكلامي وهو ما يعرف بمستوى الخطاب وقد تؤدي بالمعنى الى الغموض الذي ينكشف أو يتلاشى من ملاحظة استعمال نفس المفردة في سياق معين وعلاقتها بالوحدات المجاورة ومعلوم أنّ الوظيفة اللغوية لا تتشكل وتؤدي مهمتها الا في سياق يعرف عند علماء العربية بالموقف الكلامي أو قرينة المقام، قال القزويني (ت ٧٣٨هـ) "وكذا لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام... وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم

مطابقته له فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال"(٤٦).

ويرى بعض المُحدَثين أن نظرية السياق اذا طبقت بحكمة صارت حجر الأساس في علم المعنى(٤٧).

أما أصحاب التأويل من المفسرين للذكر الحكيم فقد تنبهوا على هذه الظاهرة وهم بصدد دراستهم وجوه التأويل في مفردات القرآن واختلفوا في حمل اللفظ على معان كثيرة تبعا لاختلاف الرأي، لقد أدرك هؤلاء إنَّ لغة القرآن تعرب عن معان جديدة فهل يؤخذ اللفظ على ظاهره أو أنَّ دقائق المعنى ومستوياته تقتضي أنْ يوجه توجيها آخر. قال الراغب (ت ٤٢٥هـ) في أهمية دراسة المفردة القرآنية في مستويات الخطاب المختلفة: إنَّ أول ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية.... ومن العلوم اللفظية تحقيق الالفاظ المفردة وألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في احكامهم وحكمهم(٤٨).

وعلى الرغم من تقارب الدلالة المعجمية للجذر (س ك ن) في كل استعمالات اللغة ــ على ما اوضحت ــ أنّ هذه الدلالة قد تطورت وتنوعت باختلاف مستويات السياق الذي وردت فيه فتبتعد كثيرا عن المعنى المشترك أو المعنى المركزي مما يضفي على الاستعمال ظلالاً من المعاني الجديدة، ويمكن رد بعض أوجه هذا الاستعمال الى المعنى العام المطرد للجذر بصيغ التأويل المختلفة.

ومن خلال استجلاء الجذر (س ك ن) وجدت ان الاستعمال يوحي بنوعين من الدلالة الاصلية او العامة للجذر هما: السَّكَنُ المادي أو الجسماني او الهدوء الحركي او الاستقرار وغيره من مرادفات اللفظ كالمكوث او الاقامة او الثبوت في الأرض وغيرها من الخصائص الوصفية للشيء أو للعين ذي الحركة، الذي ليس من معالمه الخلقية الثبوت أو السبات.

والاخر: السَّكَنُ الحسي أو المجازي مما يُشعَر باللبَّ أو الجوانح كالاطمئنان والامان والاستئناس. وقد حرص الخطاب القرآني على تعدية مشتقات الجذر بالحرف (إلى) في هذا المجال للاحالة الى ما كان سببا في تحقيق الغاية وحرص في المستوى الاول على التعدية بالظروف نحو: (حيث) و (عند) و (فيه) للايحاء بالظرفية المكانية هاك الدليل: اولا: السُكُونُ الماديّ.

ــ سَكَنَ يَسْكُنُ أُسكُن:

قال تعالى:

"إنْ يَشَأ يُسكِنِ الرّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ" الشورى ٣٣.

وأراد بالسكَن هدوء الريح وركودها وابعاد حالة العصف، والركود الثبوت والراكدة والرواكد: الثوابت، فان يشأ سبحانه يجعل الريح بلا حراك فتركد الجواري على متن ويُمنعن من الجري، أو يرسلها عاصفة شديدة الحركة فيهلكن اغراقا(٤٩). وجعل النسفي (ت ٧١٠ هـ) السكون والركود للريح فهي لا تجري على ظهر البحر وفي ذلك آيات لكل صبار على بلائه(٥٠). وقد عدّى الفعل الى مفعوله بهمز التعدية فقال فيه: أسْكَنُ يسكنُ، وجعل السكون للريح وحركتها في الجو والركود للجري في الأرض أو البحر ذلك من أسرار التعبير القرآني وطرائقه الخاصة في أداء المعاني وكفايتها فالحركة في الجو أشد وأعصف منها لو كانت على الأرض.

وقال تعالى: "فَتِلكَ مَسَاكِنُهُم لم تُسْكَنْ من بعدِهم الاَّ قليلا" القصص ٥٨.

والسَّكَنُ هنا للاقامة المؤقتة لم يسكنها الا قليل من (السُكْنَى) من مارٍّ في الطريق يوما أو بعض يوم والسكن لا يوصف بهذا اذا خلا من الساكن قطعا فهو خراب ولم يشترط في هذا السَّكن المقيم الدائم(٥١).

قال سبحانه: "ويا آدَمُ اسكُنْ أنْتَ وزوجُكَ الجنَّةَ فكُلاَ من حَيْثُ

شئتُما" الاعراف ١٩.

"وقُلنَا يَا آدَمُ أسكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنةَ وكلا منها رَغَدا حيثُ شئتُما" سورة البقرة ٣٥.

والزوج حواء والخطاب في سورة الاعراف بصيغة الطلب في اتخاذ المسكن للاقامة والاستقرار وعطف على الفعل بالفاء (فكلا) لاداء معنى الترتيب فالأكل يترتب على السكن المأمور باتخاذه(٥٢) وحيث شئتما يعطي عموم المكان وليس عموم الأكل لأنّ الأكل حالة مترتبة على اتخاذ مكان الاقامة، تقول لصاحبك: "أُسكُنْ هذا المكان فَضَعْ ما شئت فيه أي ادخله واسكُنْهُ والخطاب لهما قبل الدخول والسُكون وعلى هذا الوجه استعمل الفاء المحرزة معنى الترتيب وعطف (بالواو) في الثانية لانه قصد الاخبار المجرد ونسب القول اليه سبحانه ليناسب زيادة الاكرام بالواو الدالة على الجمع بين عناصر الخطاب السكن والاكل رغدا من حيث اردتما ان تأكلا عموما والامر بالسَكَن والأكل منها لم يقصد به غير التعريف بذلك الذي جرى في القصة ومن غير ترقب زماني او تحديد غاية(٥٣).

ويرى القرطبي (ت ٦٧١هـ) أن السَكَن في هذا السياق انما يراد به (السُكْنَى) لان فيه معنى الاقامة لمدة ثم تنقطع فدخولهما في الجنة كان دخول سُكْنَى لا دخول اقامة ومن أسكَنَ رجلا مسكَناً له أنه لا يملّكه بالسُكنى وان له أن يخرجه اذا انقضت مدة الاسكان او خالف شرطها(٥٤). والطلب بالسُكْنَى يقابله آخر يتركه والخروج منها في قوله سبحانه في خطاب ابليس: "قال أخْرُجْ منها مَذْموماً مدحوراً لمن تَبِعَكَ منهم" الاعراف ١٨.

اما في خطاب الازواج فالامر باتخاذ مكان الاقامة واضحاً جلياً في قوله تعالى: "أسكِنُوهُنَّ من حَيْثُ سَكَنْتُم من وُجْدِكُم ولا تُضارّوهُنَّ لتُضَيّقُوا عَلَيْهِنَّ" الطلاق ٦. لَهُنَّ السُكْنَى واجعل لها مَسكَناً، إذ أمر سبحانه بالسُكْنَى للنساء اللاتي بين أزواجهن مع نفقتهن وجعل للحامل السُكْنَى والنفقة حتى تضع(٥٥). و (من حيث) للتبعيض ومبعض (من) محذوف تقديره: اقيموهن مكانا بعض مكان سكناكم، وقوله "من حيث سكنتم" عطف بيان او تفسير للمحذوف دل على الظرفية المكانية بـ (حيث) اي اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تيطقونه وتسعونه واختلف العلماء في سكنى المطلقة على مذاهب(٥٦). وقد لا يتحدد مكان الاقامة فتكون الأرض على سعتها مكاناً للمكوث فيها خلاف الاستئصال منها بالقتل أو غيره من وسائل النفي:

"وقُلْنَا من بَعْدِه لبني اسرائيل اسكُنُوا الأرضَ فاذا جاءَ وعدُ الآخرةِ جئنَا بِكُمْ لفيفاً" الاسراء ١٠٤ أمر بني اسرائيل بالاقامة في الأرض حتى مجيء وعد الله في الآخرة ولم يحدد لهم وطنا أو بقعة لانهم لم يعرفوا أنّ لهم أرضاً معينة، والسياق ينافي قول من قال إنّها من أرض الشام أو من أرض مصر لأنّ ليس في الخطاب ما يوحي به(٥٧).

وقد يوحي السياق بأن يُراد بالسَكَن بلاد أو وطن قوم كبلاد عاد وثمود أو الأمم الغابرة. قال عز و جل: "وسَكَنْتُم في مَسَاكِنِ الذينَ ظلموا أنْفُسَهُم" ابراهيم ٤٥ سكنتم بلاد ثمود ونحوها فهلا اعتبرتم بمساكنهم ــ يا أهل مكة ــ بعدما تبين لكم ما فعلنا بهم وما آلت اليه مساكنهم(٥٨)؟. وغيرها من مساكن الأمم الماضية في القرون الخالية. وفي خطابهم الاستنكاري يقول لهم:

"أفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أهْلَكْنَا قَبْلَهُم من القُرُونِ يَمْشُونَ في مَسَاكِنِهم إنَّ في ذلك لآيات لأُولِي النُّهَى" طه ١٢٨. ألم يتبيّن لهم خبرُ من أهلكنا قبلهم من بلاد كانت عامرة بأهلها؟ واذا سافروا يمشون في بلاد الأمم الماضية فيرونها خاوية. فالمَسْكَن اذا كان أرض بلاد قوم بأنفسهم لا يشترط فيه ان يكون مسكوناً بل قد يكون خالياً على اعتبار ما كان. ومثله قوله تعالى: "فَأصْبَحُوا لا يُرَى إلاّ مَساكِنُهُم كَذَلِكَ نَجزِي القومَ المُجْرِمِينَ" الاحقاف ٢٥ لا ترى شيئا منهم الا مساكنهم الخالية، أو محمول على معنى لا ترى السُكْنى في هذه المنازل لانهم كانوا تحت الرمل ومساكنهم قائمة

شاخصة، وفيها من أوجه القراءات: " لا يُرَى إلاَّ مساكِنُهُم" بالياء والمساكن نائب فاعل، و "لا ترى إلا مَساكِنَهُم" بالتاء على تأنيث المَسْكَن وهو قليل و "لا تَرَى الا مساكنهمْ" والخطاب مباشر للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)(٥٩).

وفي بلاد سبأ من أرضهم قال تعالى:

"لقد كان لِسبأ في مَسْكَنِهم آيةٌ جنتان عن يَمينٍ وشِمَالٍ" سبأ ١٥.

ومسكن سبأ موضع سكنهم وبلد اقامتهم من أرض اليمن التي اقاموا فيها وجعل من خراب الجنتين في البلد عبرة لهم ليعتبروا وابدلهما الخمط والأثل. ومن اوجه قراءة النص "في مسَاكِنِهِمْ" بالجمع على ارادة مسكن كل واحد منهم، ومن قرأ بالافراد (مَسْكَنِهم) كان بتقدير ان يكون واحدا يؤدى عن الجمع(٦٠).

وفي مقابل المساكن الخاوية على عروشها، المساكن الطيبة ذات الترف والحال الناعمة، قال سبحانه:

"خَالدينَ فيها ومَسَاكِنَ طيبة في جَنَّاتِ عَدْنٍ" التوبة ٧٢.

والمساكن الطيبةى قصور الزبرجد والدر والياقوت يَفوح طيبها من مسيرة خمسمئة عام وعدن بالمكان أقام فيه، والمَعْدِن مَفْعِل عَدَنَ في الأرض سكَن في باطنها وحصرت الاقامة بـ (في) وظرفية (في) ظرفية تضمن واحتواء(٦١).

ومنه قوله جل جلاله:

"وارْجِعُوا الى ما أتْرِفْتُم فيهِ ومَساكِنِكُم لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ" الانبياء ١٣.

في الخطاب توبيخ وتهكم أي ارجعوا الى مساكِنِكُم ونِعَمِكُم، لعلّكم تُسألونَ غدا عما جرى لكم ونزل بأموالكم ومساكنكم. وقيل المراد بالمَسَاكِن هنا المجالس التي فيها عبيدكم ومن ينفذ فيها أمركُم ونهيَكُم مما يُفضل السَّكَنُ فيها حتى ينسى الساكنُ الهجرة الى الله ورسوله والجهاد في سبيل اعلاء كلمة دين الله.

قال تعالى: "ومَسَاكِنُ تَرْضَونَهَا أحبَّ إليكُم منَ اللهِ ورَسُولِهِ وجِهَادٍ في سَبيلِه". التوبة ٢٤.

تؤكد هذه الآيات أنَ لديهم من أسباب الترف ما أنساهم الآخرةَ وثوابَها ويوحي سياقها أنَّ المَساكِنَ تُعدّ وسيلةً من وسائل النعم في الدنيا، ومن هنا اشترط علماء التأويل العرب وجوب استحضار النص القرآني جميعه عند تفسير بعضه فمن سعى الى "تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فما أُجْمِلَ منه في مكان فقد فُصِّلَ في موضع آخر وما أُخْتُصِرَ في مكان فقد بُسِّطَ في موضع آخر منه"(٦٢).

وقد يكون السَكَنُ على النقيض من هذا كله، وان لم تتوفر في مكان الاقامة والثبوت ادنى اسبابُ المعيشة، وحرصَ سياقُ الخطاب على بيان من كان سبباً في الثبوت والاقامة وذلك بتعدية الفعل صرفياً، نحو: أسْكَنَ أي جعل له مَسْكَناً قال تعالى:

"ربَّنا إنِّي أسْكَنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ" ابراهيم ٣٧.

أقمت بعض اولادي من ولد اسماعيل بوادي مكة وليس فيه شيء من زرع وما أسكنتهم الاليقيموا الصلاة عند بيتك الحرام(٦٣).

وتتطور دلالة السكن المادي الى معنى الايداع والخزن، الظاهر أو الباطن، قال تعالى: "وأنزلنا من السماءِ ماءً بقدر فأسكنَّاهُ في الأرض وانَا على ذَهَابٍ لقادِرونَ(٦٤).

وأسكنه في الأرض: أسلك الماء في ينابيع، او أثبته في موضع من الأرض وفي الحالتين يكون قدر ما يعلمه من حاجتهم ويسلمون معه من المضرَّة ويصلون به الى المنفعة، وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ) (رضي الله عنه): أنزل الله من الجنة الى الأرض خمسة أنهار: سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل ومن عين واحدة من عيون الجنة واستودعها الجبال وأجراها في الأرض(٦٥) وكل ما نزل من السماء مختزنا من ماء في باطن الأرض غير مختزن فهو طاهر، والا نزال الانشاء والايجاد، نتوصل من ملابسات سياق الآية أنّ الإسكانَ أراد به الخزن

والاستقرار للماء في الأرض، يضاده في المعنى (الذهاب) أو (الجريان) لان فيهما حركة المادة. قال تعالى:
"وانّا على ذَهابِه لقَادرونَ" سورة المؤمنون ١٨.
والضمير يعود الى الماء المختزن لانه قد يسير ويتحرك فيكون غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الدلاء لأن الماء في أثناء الخطاب كان يأتيهم من بئري زمزم وميمون، قال تعالى: "أو يُصبحُ ماؤُها غَوراً فلن تستطيع له طلبا" الكهف ١٨.
وهكذا يناسب الخطاب بين السكون الظاهر والمتحرك الباطن على تقدير السكون فيه وقد يذكر الثبوت أو السكون ويستغني فيه عن المتحرك أو المتغير المطلوب في السياق، نحو قوله تعالى: "وله ما سكَنَ في اللّيلِ والنهارِ وهو السميعُ العليمُ" الانعام ١٣.
والمراد ما سكَن وهدأ وما تحرّكَ فحذف الثاني لعلم السامع به في سياق المقال لكنه خصَّ الساكن بالذكر دون المتحرك "لأنّ ما يعمه السُكُون اكثر مما تعمه الحركة"(٦٦). واكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر كقولهم: يَقيكُم الحرَّ والبرد، ولا جدال في قيمة الحذف في النظم القرآني عند البلاغيين حتى وصفوه بالسحر "فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجد انطق ما تكون اذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا اذا لم تبن"(٦٧) واذا قصد بالساكن من الخلق فلابد انه اراد المتحرك فهو خالق الكل مدبره "وهذا احسن ما قيل لأنّه يجمع شتات جميع الأقوال وهو السميع لأصواتهم العليم بأسرارهم"(٦٨).

ثانيا: السُكُونُ الحسّي أو المجازي

تتحقق أهمية السياق في الكشف عن المعاني المجازية أكثر من كشفه عن المعاني المادية المجردة، يقول اولمان: ان نظرية السياق اذا طبقت بحكمة صارت حجر الاساس في علم المعنى ومكنت الدراسة التاريخية من الاستناد الى أسس حديثة اكثر ثباتا كما انها قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات بما سماه فيرث. ترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات(٦٩)، ومن هنا تعددت الدلالة المعجمية باختلاف صور الاستعمال وان حاولنا جمعها تحت معنى مركزي واحد، اما المعنى السياقي للكلمة فلا يحتمل غير معنى واحد قد يتصل بالمعنى العام او نجد من الصعوبة تحقيق الصلة التاريخية بينهما اي المعنى السياقي والمعنى المعجمي(٧٠) وقد اعتمدنا بعض أسس هذا التنظير للكشف عن المعاني المجازية بما نتج عنه من سمو الدلالة ورقيها وتغييرها، وكأن باللفظ قد عدل عما يوجبه أصل اللغة الى معنى فجاز مكانه الذي وضع فيه أولا. ومن فكرة التوزيع اللغوي لعناصر استعمال الجذر (س ك ن) في المستويين الصرفي والدلالي (المجازي) وقفت على الاستعمالات الآتية:
ـ السَّكَن ـ فَعَل بمعنى المفعول، وتشير قرائن السياق أنّ في بناء المفردة واستعمالها ما يشير الى معنى الاطمئنان والأمان وترغيب النفس بالفرح بما يلامس الشعور من المعاني، قال تعالى:
"وَصَلِّ عَليهم إنَّ صلواتَكَ سَكَنٌ لَهُم واللهُ سَميعٌ عَليمٌ" التوبة ١٠٣.
والخطاب أمر توجه الى جميع الأمة ولم يخص به الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل خصه لفظا وشركه جميع الامة معنى وفعلاء قوله تعالى:
"أقِم الصلاةَ لدلُوكِ الشمْس" الاسراء ٧٨.
والفعل خطاب أمر لكل مسلم والصلاة في التوبة (الدعاء) خطاب أمر لكل امام يأخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق بالبركة، وتشير أسباب نزول الآية ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) اذا أتاه قوم بصدقتهم قال: "اللهم صلى عليهم"
ودعاؤه هذا سكن لقلوبهم وشعور بالفرح لهم لأن م"في صلوات الرسول اطمئناناً للقلب وجاء الوصف (سكَنَ) فَعَل، للصلوات

فتكون سببا للسكَن، فاذا اردت شعورهم بما يثلج صدورهم فصلّ عليهم فاكتفى بالمسبب الذي هو الدعاء من السبب الذي هو الارادة(٧١). فالسكَن هنا مشاعر النفس وغيرها من معاني السكون الحسي ولا يراد به سكون الجوارح. وقرئت (سكْن) فَعْل المصدر المجرد وأراد به الوقار وعلو الشأن في نفس السامع لدعاء النبي (صلى الله عليه وسلم)(٧٢). بل أنّ الأصمعي (ت ٢١٦هـ) لا يقوله الاّ بجزم الكاف(٧٣). وقد وصف به الدعاء (الصلوات) والوصف بالمصدر باب مألوف في سياق النظم القرآني، ــ على ما أوضحنا ــ نحو قوله سبحانه:

"فتصبح صعيدا زلَقاً" الكهف ٤٠. إذ وصف الصعيد بالزلَق، وهذا التركيب لا يتقرر الا في الأوصاف التي يستوي فيها المذكر والمؤنث والتثنية والجمع في الاستعمال، وهذا التأويل يعزز قراءة بعضهم "إنّ صلاتَكَ سكَنٌ" بالافراد(٧٤).

يبدو أنّ السَّكَنَ مصدر منقول الى الوصفية للتعبير عن كلّ ما سكنتَ اليه وانقطعتَ عنده من إلْفٍ ولا يُشترط في صفته الثبوت أو الهدوء المادي، قال تعالى:

"واللهُ جَعَل لَكُم من بُيُوتِكُم سكَناً وجَعَلَ لَكُم من جُلُودِ الأنعامِ بُيوتاً تَستَخِفّونَها" النحل ٨٠، فالسكَن وصف للبيت والموصوف منه الثابتُ ومنه المتغير وهذا من دلائل النعم والفضل. ومنه قول الشاعر:

جاء الشتاءُ ولمّا أتّخذ سكَناً

يا ويحُ كفي من حَفر القَراميصِ(٧٥)

والسكَن من اللّيل مَسكُون فيه لأن حركة الخلق تسكن عن كدّ المعيشة الى نوم الغفلة، أو تسكن الجوانح عن وحشة الخلق الى الأنس بالحقّ ومناجاته، والمناجاة لا تكون الا حالة للشعور بالاطمئنان. قال تعالى:

"فَالِقُ الإصبَاحِ وجَعَلَ اللّيلَ سَكَناً والشمسَ والقمرَ حُسبَاناً" الانعام ٩٦.

اما السكون المادي فقد حرص السياق القرآني على ذكر الظرفية في التركيب لان الليل ظرف للهدوء والظلام في مقابل النهار للتصرف في المعاش وغيره من اسباب الحركة. قال تعالى:

"مَنْ إلهٌ غير الله يأتيكُم بلَيْلٍ تَسكُنون فيه أفلا تُبْصِرونَ" القصص ٧٢.

وقوله: "ومِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لكم اللّيلَ والنهارَ لِتَسكُنوا فيه" القصص ٧٣.

ومن ملامح الاسناد المجازي ان قرن السكون بالليل والابصار بالنهار في قوله تعالى:

"أَلَمْ يرَوا أنّا جَعَلنا اللّيلَ ليَسكُنوا فيه والنهارَ مُبْصِراً" النمل ٨٦.

والابصار انما يكون لأهل النهار وذهاب الحركة لأهل الليل وحرص على ذكر لام التعليل لان كلا من الظرفين سببٌ للآخر ولحالتين متنافرتين. "وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأنّ معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقليب في المكاسب"(٧٦).

السَّكِينَةُ ــ فَعِيلَة، اسم نائب عن المصدر سُكُون فُعُول كقولهم: البَهيتَة للبُهْتَان، وفي اللفظ من المعاني المجازية: الطمأنينة، والوقار، والحُلُم من الدلالات الحسية، قال تعالى:

"هو الذي أنْزَلَ السَّكِينةَ في قلوب المؤمنينَ" الفتح ٤.

"فأنزلَ السَّكِينَةَ عليهم وأثابهم فَتْحاً قريباً" الفتح ١٨.

عن ابن عباس (رضي الله عنه) كلّ سكينة في القرآن هي الطمأنينة(٧٧) وسكينة المؤمن وقاره توقّر المسلمون وحُلُموا في صُلح الحديبية، اذا وافقوا على صيغة الكتاب التي أملاها أهلُ مكة على الكاتب بينهم حُلُماً منهم ووقارا، فأنزل الله في قلوبهم هذه الطمأنينة والحُلُم بسبب الصلح ليزدادوا يقيناً، فالسكينةُ حالة من الشعور بالفَتح والأمان وسبب في الصلح فاكتفى بذكر السبب وهو السَّكينة من المُسبب القبول بالصلح والاكتفاء بذكر السبب

من المسبب موضع مألوف من العربية والسياق القرآني على وجه الخصوص، نحو قوله تعالى: "فقُلْنا اضْرِب بِعَصَاكَ الحَجَرَ فانفجرتْ منهُ اثنتا عشرةَ عيناً" سورة البقرة ٦٠.

"وان شئت أن تعكس هذا فتقول: اكتفى بالسبب الذي هو القول من المسبب الذي هو الضّرب"(٧٨) وقول عمرو بن كلثوم التغلبي:

مشعشعةً كأنَّ الحُصَّ فيها اذا ما الماءُ خالطها سَخينا

اكتفى بذكر مخالطة الماء لها وهو السبب من الشرب وهو المسبب(٧٩).

وقيل في السكينة معنى الصبر، فكان من أمرهِ أنْ صبَّرَ قلوبَ المؤمنين بالصلح فيكون الصلح سبباً من الصبر وناتجا عنه، والسكينةُ اذا كانت بمعنى الاطمئنان والشعور بالأمان تكون خلاف الخوف والشعور بالرعب، قال تعالى:

"فأنْزلَ اللهُ سَكِينتَهُ عليه وأيّدهُ بجنودٍ لم تروها" التوبة ٤٠.

والانزال الالقاء، القى على نبيه الكريم (صلى الله عليه وسلم) الاحساس بالأمان وأذهبَ بالسكينة روعَهُ وهَدَّأ جأشَهُ فكان من أسباب السكينة أن انبتَ في باب الغار (الثمامة)(٨٠). وألهم الوكر حمامة وأرسل العنكبوت فنسجت بيتها، نستدل من سياق الآية ونزولها ان السكينة مجموع عناصر أبعدَ اللّهُ بها الخوفَ لها مسببات ضعيفة في ظاهرها قوية في باطن معناها. ومن هنا فسّر بعضُ العلماء السكينةَ بالشعور بالقوة والشجاعة حتى لو كان عنصر دعمها ضعيفاً حسياً(٨١).

والسَّكينةُ إذا كانت من عند الله فهي الرحمة وتثبيت الخواطر لأنّها منعت الشعور بالجبن وذهاب الخوف يعني الشجاعة والقوة، قال تعالى:

"ثم أنزل الله سَكينتَهُ على رسُولِهِ وعلى المؤمنينَ وأنزلَ جنوداً لم تروها".

والرحمة الملقاة من عند الله سبحانه بسبب من الملائكة أيام بدر وحُنين والأحزاب يقوّون المؤمنين بما يلقون في قلوبهم من الخواطر والتثبت(٨٢). ويستثنى منها قوله: "أنْ يَأتيكُمُ التَّابوتُ فيهِ سَكِينةٌ من رَّبِّكُم" سورة البقرة ٢٤٨.

فالاستعمال يوحي بالسكون المادي وما يحويه من مواريث الأنبياء وقد يحمل على السُكُون الحسي والشعور بالاطمئنان عن اللغويين كالخليل (ت ١٧٥هـ) والليث (١٧٥هـ) والزجاج (ت ٣١١هـ) والأزهري (ت ٣٧٠هـ) وابن منظور (ت ٧١١هـ) وغيرهم: أنّها مجسم حيوان له رأس كرأس الهرّ، أو وجه كوجه انسان مجتمع وسائرها خلق رقيق ولها جناحان وفيها من المواريث عصا موسى (عليه السلام) وعمامة هارون ورضاض اللوحين اللّذين رُفِعا. فاذا رأى بنو اسرائيل هذا سكنُوا اليه واطمأنت قلوبهم(٨٣).

وعن أصحاب التأويل القرآني منهم الامام علي (عليه السلام) (ت ٤٠هـ) وابن عباس ومجاهد بن جبير (ت ١٠٣) ومقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) وغيرهم، انها ريح هفافة سريعة المرور لها وجه كوجه انسان ورأسان وذنب ولعينيه شعاع فاذا نظر الى الجيش انهزم، أو انها طَسْتٌ من ذهب من الجنة كان يُغْسَلُ فيه قلوب الأنبياء(٨٤). وهذه التأويلات أشبه بروايات الاسرائيليات، قال الراغب (ت ٤٢٥هـ): "وما ذكر أنه شيء رأسه كرأس الهرة فما أراه قولا يصح"(٨٥) وانها من السَّكَن الحسّي والشعور بزوال الخوف. ـ والله اعلم ـ وتسميتها انما جاءت من وظيفتها في الفكر اللغوي في جعل النفس تطمئن لشيءٍ ما.

والزوجة حالة من الطمانينة عبّر عنها القرآن بالجذر (س ك ن) قال تعالى:

"هُوَ الذي خَلَقَكُم من نفسٍ واحدةٍ وجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ اليها" الاعراف ١٨٩.

و (منها) يعود على حوار ليأنس بها الزوج ويطمئن اليها حالة

في الجنة ثم ابتدأ بحالة اخرى في الدنيا بعد هبوطهما، قال سبحانه:

"وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لكم من أَنفُسِكم أزواجاً لِتَسْكُنوا اليها" الروم ٢١.

حواء خُلِقَتْ من ضلع آدم ومن تكوينه الفسيولوجي لا من جنس آخر وذلك لما بين الجنس الواحد من الإلْفِ والطمأنينة والسُكُون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر(٨٦). ولهذا حرص الأسلوب القرآني على التعدية بـ (الى) على إرادة السكون الروحي لا الجوارح.

المَسْكَنَةُ والمِسكِينُ: المَسْكَنَةَ ـ مَفْعَلَة ـ والمِسكين مِفْعيلٌ من أصل الحرف (س ك ن)، واختلفوا في تقدير فعلهما، قال الليث: اذا اشتقوا منه فعلا قالوا: تَمَسْكَنَ الرجلُ: أي صار مسكينا والأصل تسكّن كقولهم: تشجّع وتمدرّع من المَدرعة وأصله تَدرَّعَ(٨٧) وعن الخليل: انهم اشتقوا منه فعلا فقالوا: تَمَسْكَنَ ولم يقولوا: مَسْكَنَ(٨٨). تَمَفْعَل، أما سيبويه فقد عده في باب الثلاثي الملحق بمثال الرباعي نحو: سَكَنَ ثم مَسْكَنَ ليلحق بفَعْلَلَ ولما لم يألفوا زيادة الميم في صدر الفعل الحقوا التاء فقالوا: تَمَسْكَنَ "وقد جاء تَمَفْعَلَ وهو قليل، قالوا: تَمَسْكَنَ وتَمَدْرَعَ" "وقد تلحقها التاء في أوائلها كما لحقت في تدحرج" وكل ميم كانت في أول حرف فهي زائدة الا ميم معزى ومعد"(٨٩).

واذا كان في المسكين معنى التحول والصيرورة فقد قاسه ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ) وثعلب (ت ٢٩١هـ) في أفْعَلَ بالهمز قالوا: أسكنه الله وأسكَنَ جوفَهُ اذا صار مسكيناً، بل قاسمه غيرهما بفَعَل نحو سكَنَ الرجلُ وأسكَنَ بمعنى واحد اذا كان مسكينا فيه معنى التحول(٩٠). ولما كانت كلّ الأوجه مألوفة في قياس اللغة صار استعماله يجري مجرى ما لا زيادة فيه.

أما على مستوى المعنى فالمَسْكَنَةُ: الذلّة والخُضوع، وقد تكون في مقابلة الفَقْر. قال تعالى:

"وَضُرِبَتْ عليهم الذِلّةُ والمَسْكَنَةُ وباءوا بَغَضَبٍ من الله" البقرة ٦١.

ولأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء ألزموا المسكنة من أنواع الذلّ والخضوع، ويبدو أنّ الذلّة غير المسكنة والا لما رادف استعمالها في موضع وأفردها في قوله: "وضُرِبَتْ عليهم المَسْكَنَةُ" آل عمران ١١٢، وهي خوف الفقر لأنهم ـ أي بني اسرائيل مع قيام اليسار خافوا من الفقر مستقبلا(٩١).

فلا يوجد يهودي وان كان غنيا خاليا من زَيّ الفقر ومظاهره وابداء الخضوع والمهانة، وكأن بهذه الظواهر ضربت عليهم كما تضرب القباب.

وربما اشتقوا من المصدر صيغة (إفْتَعَلَ) (استكان) لموافقته له في المعنى قال سبحانه: "ولما أخذناهم بالعذاب فَما استكانوا لربّهم وما يَتَضَرَّعونَ" المؤمنون ٧٦.

وفي اشتقاق صيغته قولان: الأول أنه في صيغة استفعل من كان يكون والاصل استكون وفي الجمع استكونوا فحولت فتحة حرف الواو الى الساكن الصحيح قبلها وجعلت الواو ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها كقولهم استقام في استقوم. والآخر: أنّه في صيغة إفتعل من السكون والأصل سكَنَ فوصلت فتحة الكاف بالألف لأنّ من كلامهم مد الفتحة الى الألف والضمة الى الواو والكسرة الى الياء(٩٢).

ومنه قول عنترة(٩٣):

ينباعُ من ذِفْرَيْ غَضُوبٍ جَسْرَةٍ
زَيّافَةٍ مثل الفنيقِ المُقْرَمِ

ويَنْباع أراد ينبع من نبع الماءُ والعرقُ ونحوهما فاتبع الفتحة فاستحالت ألفاً. اما في معناه فان السياق يوحي بمعنى خضع وذل بدليل اقتران الفعل بالتضرع ومبالغة الوصف (مسكين) ورد أكثر من عشرين مرة في القرآن صورة الافراد والجمع (مساكين). قال تعالى:

"إنَّما الصّدقـــاتُ للفقـــراءِ والمَسَاكِينِ والعاملينَ عليها والمؤلفةِ قُلُوبُهُم" التوبة ٦٠.

فالمسكينُ صنف معدود من أصناف من يستحق الصدقة مختصة بهؤلاء لا يتجاوز غيرهم ومنهم ايضا: "ذا القُربى حقَّهُ والمسكينَ وابنَ السّبيل" الروم ٣٨ . وهي عند بعض الفقـــهاء في مقابـــل (الفقير) معنى وان افترقا في اللفظ(٩٤).

ومنهم من يجعل المسكين أحسنَ حالاً من الفقير لأن الله أخبر أنّ لهم سفينة من سفن البحر وربما ســـاوت جملة من المال، قـــال تعالى:

"أما السَّفينَةُ فكانَتْ لِمَســـاكينَ يَعْمَلُونَ في البحـــر" الكهف ٧٩.

ومنهم من أخبر بأن الفقير أحسن حالاً من المسكين لان له بعض ما يقيمه والمسكين الذي لا شيء له، ويطول الخلاف بـــينهم في فحوى اللفظين(٩٥). وظاهر الاستعمال يؤكد انَ المسكين غير الفقير. وأحدُ الصنفين أشدّ حاجة من الآخر وكلاهما له نصيبـــه من الزكاة. والذي يهمنا في هذا المقام ان المسكين ذو المسكنة الذي أسكنه الفقرُ فقلَّلَ حركته، وفي المسكنة أحـــوال ولهذا جعل من أصنافه (ذا المتربـــة) في قـــوله تعالى: "يتيماً ذا مقربـــة أو مسكينا متربة" البلد ١٥، ١٦. وهو في هذا السياق مخالف غيره من المســـاكين فالأغلب في المســـكين ان يكونَ له شـــيء الا ذا المتربة الذي لصق بـــالتراب أو على الأرض أو الذي لا يقـــيه لباس، أو هو من التريب أي شدة الحـــال، وليس في المســـكين معنى السائل الطواف(٩٦). لأن في المسكنة انعدام حـــركة او قلتها اذا اسكنته الحاجة فمنعت طوافه لضعفه وهذا التأويـــــل يحيـــل الوصـــف الى المعنى المركزي للجذر (س ك ن) الذي بدأنا به الرحلة والله اعلم.

الخاتمة والنتائج

ـــ تتبع البحث استعمال الجذر (س ك ن) في الاستعمال اللغوي والسياق القرآني تمهيدا للموازنة بين الاستعمالين.

ـــ كشف البحث عن الصور التصريفية والاشتقاقـــية المختلفة للجذر في الاستعمال المعجمي وقرر ان الجذر في مختلف اســـتعمالاته انما يدل في مجمله على معنى اســـاس واحـــد يجمع بـــينها هو الهدوء والثبـــوت والاستقرار وذهاب الحركة.

ـــ أصّلَ البحـــثُ فكرةَ أثر ملابســـات الســـياق في توجيه المعنى في الاستعمال القرآني، ومن هذا لمست ان الاستعمال يميز بين انواع الهدوء والثبوت والاستقرار تبعا لاختلاف مستويات الخطاب منها.

ـــ السكن المادي او الجسماني للاشياء التي ليست من معالمها الخلقـــية الثبوت وحرص السياق الى تعدية التركيب بالظروف النحوية مثل: حيث وعند وفيه.

ـــ السكن المجازي او الحسي في مخاطبة الشـــعور والجوانح وترغيب النفس بما يلامس المشاعر من الالفاظ كالاطمئنان والامان والثقـــة وقـــد تميز من الاول بالتعدية بالحـــرف (الى) للاحـــالة الى ما كان سببـــا في السكون.

ـــ تطور الاســـتعمال الى دلالات جديدة تؤلف في المعجم منها الســـكن بمعنى البلاد او الوطن، والسكن للايداع او الخزن الباطن أو الظاهر.

الهوامش

(١) اسرار العربية ٤٦.
(٢) الاشتقاق، عبدالله امين ١.
(٣) دلالة الجذر (أ م ن) في القرآن الكريم ٦.
(٤) مقدمة مقاييس اللغة ٣.

(٥) الخصائص ١/٥ و ١٣/١.
(٦) العين ٣٢٢/٥، وتهذيب اللغة ٦٤/١٠ والصحاح ٢١٣٦/٥ ولسان العرب ٧٣/١٧ س ك ن.
(٧) مفردات الفاظ القرآن ٤١٧ س ك ن.
(٨) ديوان كثير: ٢٥٨.
(٩) العين ٣١٢/٥ وتهذيب اللغة ٦٤/١٠ ولسان العرب ٧٣/١٧ وتا العروس ٢٣٧/٩.
(١٠) تهذيب اللغة ٧٠/١٠ س ك ن.
(١١) الاشتقاق ٣٦٨.
(١٢) اقرب الموارد ٥٢٨ س ك ن.
(١٣) لسان العرب ٧٥/١٧ س ك ن.
(١٤) العين ٣١٢/٥ س ك ن
(١٥) ينسب الرجز لبني كلاب، تهذيب اللغة ٦٢/١٠ والمسلسل في غريب لغة العرب ١٠٦.
(١٦) الاشتقاق ٣٦٨ وتهذيب اللغة ٦٤/١٠ ولسان العرب ٧٥/١٧.
(١٧) المذكر والمؤنث للتستري ٥٥.
(١٨) العين ٣١٢/٥ ولسان العرب ٧٤/١٧ واقرب الموارد ٥٢٨.
(١٩) تهذيب اللغة ٦٦/١٠ ولسان العرب ٧٥/١٧ س ك ن.
(٢٠) ديوانه ١٠٠ والعين ٣١٢/٥ وتهذيب اللغة ٦٤/١٠ ــ ٦٥.
(٢١) ديوانه: ٥٠٦.
(٢٢) لسان العرب ٧٥/١٧ س ك ن.
(٢٣) تهذيب اللغة ٧٠/١٠ واساس البلاغة ٤٥١/١.
(٢٤) ديوان طرفة ٥٤ واشعار الشعراء الستة الجاهليين ٤٥/٣.
(٢٥) ديوان الهذليين ١٥٦/١ ويروى على (الخلق) بالخاء.
(٢٦) المذكر والمؤنث لابن التستري ٨٤ والمذكر والمؤنث لابن الانباري ٣١٤.
(٢٧) المذكر والمؤنث للفراء ٩٦ ولابن الانباري ٣١٤ والبلغة في الفرق بين المؤنث والمذكر ٨٣ والاقتضاب في شرح ادب الكتاب ١٧٤ــ١٧٥.
(٢٨) الاقتضاب ١٧٥، ولسان العرب ٧٣/١٧ وصبح الاعشى ٤٦٦/٢.
(٢٩) الاقتضاب ١٧٥.
(٣٠) تهذيب اللغة ٦٩/١٠ س ك ن.
(٣١) النهاية في غريب الحديث والاثر ١١٥/٢.
(٣٢) الانصاف مسألة ١١١، ٧٥٨/٢ والمزهر ٧٠/٢.
(٣٣) كتاب سيبويه ٣٨٤/٣.
(٣٤) رواه ابن منظور بلا نسب ٧٤/١٧ س ك ن.
(٣٥) تهذيب اللغة ٧٠/١٠.
(٣٦) الصحاح ٢١٣٧/٥ س ك ن.
(٣٧) شعر النابغة واشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢٠٥/١ واساس البلاغة ٤٥١/١.
(٣٨) الصحاح ٢١٣٧/٥ ولسان العرب ٧٧/١٧ س ك ن..
(٣٩) العين ٣١٣/٥ س ك ن.
(٤٠) مجاز القرآن ٢٥٤/١.
(٤١) لسان العرب ٧٥/١٧.
(٤٢) شعر النابغة ٦١ وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢١٢/١.
(٤٣) مقاييس اللغة المقدمة ٣ و ٨٨/٣ مادة س ك ن.
(٤٤) منهج البحث في اللغة ٢٠٤ والمدخل الى علم اللغة ١٢٨ــ١٢٩.
(٤٥) دلائل الاعجاز ٢٠٢ــ٢٠٣ (بتصرف).
(٤٦) الايضاح لمختصر تلخيص المفتاح ٨ــ٩.
(٤٧) دور الكلمة في اللغة ٦٦.
(٤٨) مفردات الفاظ القرآن، المقدمة ٥٤ــ٥٥.
(٤٩) الكشاف ٤٧١/٣.
(٥٠) تفسير النسفي ٢٩٧/٣.
(٥١) تفسير القرطبي ٣٠١/١٣.
(٥٢) معترك الاقران ١٨٥/٣.
(٥٣) معترك الاقران ١٨٥/٣ والكليات ٢٠٩ س ك ن
(٥٤) تفسير القرطبي ٢٩٩/١.
(٥٥) تفير القرطبي ٦٧/١٨.
(٥٦) ليس من مهمة البحث الكشف عن آراء الفقهاء في سكن المطلقة ينظر في الامر تفسير القرطبي ٦٧/١٨ وتفسير النسفي ٥٤٥/٣.
((٥٧) الكشاف ٤٦٩/٣ وتفسير القرطبي ٣٣٩/١٠ وتفسير النسفي ٢٧٢/٢.
(٥٨) تفسير القرطبي ٣٧٩/٩.
(٥٩) تفسير القرطبي ٢٠٧/١٦ــ٢٠٨.
(٦٠) الكشاف ٢٨٤/٣ وتفسير القرطبي ٢٨٣/١٤.

(٦١) الكشاف ٢٠٢/٢ وتفسير القرطبي ٢٠٤/٨.

(٦٢) البرهان ١٧٥/٢.

(٦٣) تفسير النسفي ١٠٥/٢.

(٦٤) سورة المؤمنون ١٨.

(٦٥) الكشاف ٢٨/٣.

(٦٦) تفسير القرطبي ٣٩٧/٦.

(٦٧) دلائل الاعجاز ٩٥ــ٩٦.

(٦٨) تفسير القرطبي ٣٩٧/٦.

(٦٩) دور الكلمة في اللغة ٦٦.

(٧٠) منهج البحث اللغوي ١٨٥.

(٧١) الخصائص ١٧٣/٣.

(٧٢) تفسير القرطبي ٣٥١/٨.

(٧٣) الصحاح ٢١٣٦/٥

(٧٤) النشر في القراءات العشر ٢٨١/٢.

(٧٥) من شواهد الفراء معاني القرآن وتفسير الرازي ٩٤/٢٠.

(٧٦) الكشاف ١٦١/٣ (انظر: سورة غافر ٦١ وسورة يونس ٦٧).

(٧٧) الكشاف ٥٤٢/٣ وتفسير القرطبي ٢٦٤/١٦.

(٧٨) الخصائص ١٧٤/٣.

(٧٩) شرح المعلقات السبع، الزوزني ٦٥ والخصائص ٢٨٩/١ و١٧٤/٣.

(٨٠) الثمامة: نبات معروف في البادية.

(٨١) تفسير النسفي ١٥٢٠/١.

(٨٢) الكشاف ١٩٠/٢ و١٨٢/٢ وتفسير القرطبي ١٠١/٨ وتفسير النسفي ١١٥/١.

(٨٣) العين ٣١٢/٥ وتهذيب اللغة ٦٦/١٠ ولسان العرب ٧٦/١٧ س ك ن.

(٨٤) الاشباه والنظائر في القرآن ٥٣ وتفسير القرطبي ٢٤٩/٣ والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧٥٨/١.

(٨٥) مفردات ألفاظ القرآن ٤١٧.

(٨٦) الكشاف ٢١٨/٣ وتفسير الرازي ١١١/٢٥.

(٨٧) تهذيب اللغة ٦٧/١٠ س ك ن.

(٨٨) العين ٣١٢/٥ س ك ن.

(٨٩) كتاب سيبويه ٢٥٥/٢ و ٢٨٦/٤.

(٩٠) ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد ٤٥ وتهذيب اللغة ٦٦/١٠ــ٦٧.

(٩١) تفسير النسفي ٢٣٣/١.

(٩٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ٣١٠/١ والمنصف ١٢٩/١ وشرح الشافية ٩٦/١.

(٩٣) ديوانه ٢٠٨ واشعار الشعراء الستة الجاهليين ١١٦/٢ شعر عنترة وينظر الانصاف المسألة الثانية ٢٥/١ــ٢٦.

(٩٤) تفسير القرطبي ١٧٠/٨.

(٩٥) الزاهر ٢٢٤/١ وما بعدها، والكشاف ٥٦/٣ و٢٢٣ وتفسير القرطبي ١٨٦/٨ و ٣٤/١١ ولسان العرب ٨٠/١٧ــ٨١.

(٩٦) تفسير القرطبي ٦٨/٨ و ٣٤/١١.

روافد البحث

أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت ٥٢٨هـ)، القاهرة، ١٣٤١هـ ــ ١٩٢٣م.

- اسرار العربية، الأنباري، أبو البركات كمال الدين بن محمد (ت ٥٧٧هـ) تحقيق بهجة البيطار، دمشق ١٩٥٧م ــ ١٣٧٧هـ.
- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان (ت ١٠٥هـ) تحقيق عبدالله شحاتة، بغداد ١٩٧٥م.
- الاشتقاق، ابن دريد، أبو بكر محمد بن دريد (ت٣٢١هـ) تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الخانجي، مصر.
- الاشتقاق، عبدالله امين، القاهرة ١٩٥٨.
- اشعار الشعراء الستة الجاهليين، الاعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦هـ) دار الآفاق، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، البطليوسي، ابن السيد (ت ٥٢١هـ) بيروت ١٩٧٣م.

* اقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني (ت ١٩١٩م) بيروت ١٨٨٩م.
* الانصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، ابو البركات تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٤، القاهرة، ١٩٦١م.
* الايضاح لمختصر تلخيص المفتاح، القزويني (ت ٧٣٨هـ)، ط٢، مطبعة الجمالية، مصر.
* البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، أبو البركات الانباري، تحقيق د. رمضان عبدالتواب، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٧٠.
* تاج العروس، محمد بن المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، الكويت ١٩٦٥، تحقيق عدد من العلماء العرب.
* تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) تحقيق احمد عبدالغفور عطار، ط٤، بيروت ١٤٠٧ـ١٩٨٧م.
* التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، الرازي، محمد فخرالدين (ت٦٠٦هـ)، ط٣، دار الفكر بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
* تهذيب اللغة، الازهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) تحقيق علي حسن هلالي، الدار المصرية للنشر، القاهرة ١٩٦٨م.
* الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، محمد بن احمد (ت ٦٧١هـ)، ط١، القاهرة ١٩٦٧م.
* الخصائص، ابن جني، أبو الفتح، تحقيق محمد علي النجار، بيروت عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.
* الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، بلات.
* دلائل الاعجاز في علم المعاني، الجرجاني، عبدالقاهر، (ت ٤٧١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٨م.
* دلالة الجذر (أ م ن) في القرآن الكريم، محمد نورالدين المنجد، مجلة آفاق الثقافة، عدد ٣٣، نيسان ٢٠٠١، دبي ٢٠٠١.
* دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة د. كمال بشر، ط٣ القاهرة ١٩٧٢م.
* ديوان ذي الرمة، (شرح ابي نصر الباهلي) تحقيق، مكارثي، كمبرج ١٣٧٧هـ ـ ١٩١٩م.
* ديوان سلامة بن جندل، رواية الاصمعي، تحقيق د. فخرالدين قباوة، حلب ١٩٦٨م.
* ديوان طرفة (شرح الاعلم) تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، دمشق ١٩٧٥م.
* ديوان كثير عزة، تحقيق د. احسان عباس، بيروت ١٩٧١م.
* ديوان النابغة، صنعت ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، بيروت ١٩٦٨م.
* ديوان الهذليين، عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ.
* الزاهر في معاني كلمات الناس ابن الانباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ) تحقيق د. حاتم صالح الضامن، بيروت ١٩٧٩م.
* شرح الشافية، الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) تحقيق محمد نورالحسن وآخرين، دار الفكر، بيروت ١٩٧٥م.
* شرح المعلقات السبع، ابو الحسن الزوزني، مؤسسة الزين، بيروت ١٩٩٠م.
* العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، بغداد ١٩٨٠ـ١٩٨٥.
* الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ) تحقيق عبدالسلام هارون، الاقاهرة ١٩٦٦م.
* الكشاف، الزمخشري، جارالله محمد بن عمر، (ت ٥٢٨هـ) دار المعرفة، بيروت ١٩٦٦م.
* لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.
* ما جاء على فعلت وأفعلتُ بمعنى واحد، الجواليقي، ابو منصور (ت ٥٤٠هـ) تحقيق ماجد الذهبي ـ دمشق، ، دار الفكر ١٩٨٢م.
* مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، (ت٢١٠هـ) تحقيق فؤاد سزكين، مصر، طبعة مصر ١٩٥٤م وطبعة ١٩٦٢م.
* مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (ت ٧٠١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
* المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٠م.
* المذكر والمؤنث، لابن الانباري، أبو بكر، تحقيق د. طارق عبد عون الجنابي، بغداد ١٩٧٨م.

* المذكر والمؤنث، لابن التستري الكاتب (ت ٣٦١هـ) تحقيق د. أحمد عبدالمجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.
* المذكر والمؤنث، أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق د. رمضان عبدالتواب، القاهرة ١٩٧٥م.
* المزهر في علوم اللغة وانواعها، السيوطي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.
* المسلسل في غريب لغة العرب، محمد بن يوسف التيمي (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق محمد عبدالجواد، مصر/ الجيزة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.
* معترك الاقران في اعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق احمد شمس الدين، بيروت ١٩٨٨م.
* مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، الحسين بن احمد، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط، دمشق ١٩٩٦م.
* مقاييس اللغة، احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط٢، مصر، ١٩٧٠م.
* المنصف في شرح تصنيف المازني، ابن جني، تحقيق ابراهيم مصطفى، وعبدالله امين، مط البابي، مصر ١٩٥٤ـ١٩٦٠م.
* منهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، دار الثقافة، المغرب ١٩٧٤م.
* النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ابو الخير محمد بن احمد (ت ٨٣٣هـ)، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
* النهاية في غريب الحديث، ابن الاثير، مجدالدين (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، مصر ١٩٦٣ـ١٩٦٥م.